www.alsabahpress.com Alsabah Media | السنة السابعة عشرة | 13 أكتوبر 2024 م | 10 ربيع الآخر 1446 هـ | الأحد | No. 5002

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

«موج من فوقه موج»

هذه حقيقة تم الوصول اليها بعد إقامة مئات من المحطات البحريـة.. والتقاط الصور بالأقمار الصناعية.. والذي قال هـذا الكلام هو البروفسـور شـرايدر.. وهو مـن أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية.. كان يقول: إذا تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين.. لكنه عندما سـمع معانـي آيات القرآن بهت وقال: إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر..

ويأتـي البروفسـور دورجـاروا أسـتاذ علـم جيولوجيا البحـار ليعطينا مـا وصل إليه العلم في قولـه تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَـاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَـحَابٌ ظُلُمَـاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْـضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَـدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَـا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.. سـورة النور: 40.

فيقول لقد كان الإنسـان في الماضي لا يستطيع أن يغوص بدون استخدام الآلات أكثر من عشرين مترا.. ولكننا نغوص الآن في أعماق البحار بواسطة المعدات الحديثة فنجد ظلاما شـديدا علـى عمق مئتـي متر.. الآيـة الكريمة تقـول: (بَحْرٍ لُّجِّـيٍّ) كما.. أعطتنا اكتشـافات أعماق البحار صورة لمعنىً قولَه تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

فالمعروف أن ألوان الطيف سـبعة.. منها الأحمر والأصفر والأزرق والأخضـر والبرتقالي إلى آخـره.. فإذا غصنا في أعماق البحر تختفي هذه الألوان واحدا بعد الآخر.. واختفاء كل لـون يعطي ظلمة.. فالأحمر يختفي أولا ثم البرتقالي ثم الأصفـر.. وآخر الألوان اختفاء هـو اللون الأزرق على عمق مئتـي متر.. كل لون يختفـي يعطي جزءا مـن الظلمة حتى تصل إلى الظلمة الكاملـة. أما قوله تعالى: ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ فقد ثبت علميا أن هناك فاصلا بين الجزء العَميق مِنَ البحـر والجزء العلـوي.. وأن هذا الفاصل ملـيء بالأمواج فكأن هناك أمواجا على حافة الجزء العميق المظلم من البحر وهذه لا نراها وهناك أمواج على سطح البحر وهذه نراها.

فكأنهـا موج من فوقـه موج.. وهذه حقيقـة علمية مؤكدة ولذلك قال البروفسـور دورجاروا عن هذه الآيات القرآنية: إن هذا لا يمكن أن يكون علما بشريا.

أمهات المؤمنين

خديجة بنت خويلد

أم المؤمنين

«والله ما أبدلني الله خيراً منها.. قد آمنت بـي إذ كفر بـي النـاس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء» حديث شريف.

خديجـة بنت خويلد بن أسـد بن عبد العـزى بن قصـي القرشـية الأسـدية كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة.

بداية التعارف

كانـت السـيدة خديجـة امـرأة تاجـرة ذات شـرف ومـال، فلمـا بلغها عن رسـول الله –صلى الله عليه وسلم– صدق حديثه وعظيم أمانته وكـرم أخلاقـه، بعثت إليه فعرضـت عليه أن يخـرج في مال لهـا الـى الشـام تاجـراً، وتعطيهُ أفضـل مـا كانـت تعطي غيـره من التجـار، مـع غـلام لهـا يقـال لـه مَيْسَـرة، فقبل الرسول –صلى الله عليه وسلم– وخرج في مالها حتى قَدِم الشام.

وَفـي الطريـق نـزل الرسـول –صلـى الله عليه وسـلم– في ظل شـجرة قريبـاً من صومعـة راهب من الرهبان فسأل الراهب ميسرة: «من هذا الرجل؟».. فأجابه: «رجل مـن قريـش مـن أهـل الحـرم»... فقـال الراهب: «ما نـزل تحت هذه الشجرة قطٌّ إلا نبي».

ثـم وصلا الشـام وباع الرسـول –صلـى الله عليه وسـلم– سـلعته التي خـرج بهاٍ، واشـترى ما أراد، ثـم أقبـل قافـلاً الـى مكـة ومعـه ميسـرة، فـكان ميسـرة إذا كانـت الهاجرة واشـتد الحر يـرى مَلَكين يُظلانـه –صلـى الله عليه وسـلم– مـن الشـمس وهـو يسـير علـى بعيـره، ولما قدم –صلـى الله عليه وسـلم– مكة على خديجـة بمالها باعت مـا جاء به فربحت ما يقارب الضعف.

الخطبة والزواج

وأخبر ميسـرة السـيدة خديجة بما كان من أمـر محمد –صلى الله عليـه وسـلم– فبعثت الى رسـول اللـه وقالت لـه: «يا ابن عـمّ ! إنـي قـد رَغِبْتُ فيـك لقرابتك، وشـرفك في قومك وأمانتك، وحُسْـن خُلقك، وصِدْق حديثك» ثـم عرضَت عليه نفسَـهَا، فذكر الرسول –صلى الله عليـه وسـلم– ذلك لعمّـه الحبيب الذي سُـرّ وقـال له: «إن هـذا رزقٌ ساقهُ الله تعالى إليك».

ووصـل الخبر الـى عم السـيدة خديجة، فأرسل الى رؤساء مُضَر، وكبـراء مكـة وأشـرافها لحضور عقـد الزَواج المبـارك، فـكان وكيل السـيدة عائشـة عمّهـا عمـرو بن أسـد، وشـركه ابن عمهـا ورقة بن نوفل، ووكيل الرسول –صلى الله عليه وسلم– عمّه أبو طالب.

وكان أول المتكلمـين أبـو طالـب فقـال: «الحمد لله الـذي جعلنا من ذريـة إبراهيـم، وزرع إسـماعيل وضئضـئ معـد، وعنصـر مضر، وجعلنـا حضنـة بيته، وسـواس حرمـه، وجعل لنـا بيتـا محجوبا وحرماً آمنـاً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابـن أخي هذا، محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح بـه، وإن كان في المال قلاً، فإن المال ظـلّ زائـل، وأمـر حائـل، ومحمـد مَـنْ قد عرفتـم قرابتـه، وقد خطب خديجـة بنت خويلـد، وقد بذل لها من الصداق مـا آجله وعاجله اثنتا عشـرة أوقيـة ذهبـا ونشـاً –أي نصف أوقية– وهـو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل».

ثم وقـف ورقة بـن نوفل فخطب قائلا: «الحمد لـه الذي جعلنا كما ذكـرت، وفضلنـا علـى مـا عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهـل ذلـك كلـه لا تنكـر العشـيرة فضلكـم، ولا يـردُّ أحدٌ مـن الناس فخركـم ولا شـرفكم، وقـد رغبنـا فـي الاتصـال بحبلكـم وشـرفكم، فاشـهدوا يـا معشـر قريـش بأني قد زوجـت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله».

كما تكلـم عمُّهـا عمرو بن أسـد فقـال: «اشـهدوا عليّ يا معاشـر قريـش أنّـي قد أنكحـت محمد بن عبـد اللـه خديجـة بنـت خويلد» وشهد على ذلك صناديد قريش.

الذرية الصالحة

تـزوج النبـي –صلى اللـه عليه وسـلم– السـيدة خديجـة قبـل البعثـة بخمـس عشـرة سـنة، وولدت السـيدة خديجة للرسـول –صلـى اللـه عليـه وسـلم– ولده كلهم إلا إبراهيم، القاسم –وبه كان يكنى–، والطاهـر والطيب –لقبان لعبد الله –، وزينـب، ورقيـة، وأم كلثـوم، وفاطمـة فأمـا القاسـم وعبـد اللـه فهلـكا فـي الجاهلية، وأما بناتـه فكلهـن أدركن الإسـلام فأسلمن وهاجرن معه –صلى الله عليه وسلم–.

إسلام خديجة

وبعد الزواج الميمون في خمسـة عشـر عاما نزل الوحي على النبي –صلـى اللـه عليه وسـلم– فآمنت بـه خديجة، وصدقت بما جاءه من الله، وآزرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسـوله، وصدقت بما جاء منـه، فخفف الله بذلك عن نبيـه –صلى الله عليه وسـلم– لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب لـه، فيحزنـه ذلك، إلا فرج اللـه عنه بها إذا رجـع إليها، تثبته وتخفـف عليـه وتصدقـه، وتهون عليـه أمـر النـاس، قـال الرسـول –صلى الله عليه وسـلم–: «أمرت أن أبشـر خديجة ببيـت من قَصَب –اللؤلؤ المنحـوت–، لا صخب فيه ولا نصب».

فضل خديجة

جاء جبريل إلى الرسـول –صلى الله عليه وسـلم– فقـال: «إن الله يقـرأ علـى خديجـة السـلام»... فقالت: «إن الله هو السـلام، وعلى جبريـل السـلام، وعليـك السـلام ورحمة الله».

قال رسول الله –صلى الله عليه وسـلم–: «خيـرُ نسـائها مـريم، وخير نسائها خديجة».

عام المقاطعة

ولمّـا قُضـيَ علـى بنـي هاشـم وبني عبـد المطلب عام المقاطعة أن يخرجـوا من مكة الى شـعابها، لم تتردد السيدة خديجة في الخروج مع رسـول الله –صلـى الله عليه وسلم– لتشاركه أعباء ما يحمل من أمر الرسـالة الإلهيـة التي يحملها وعلى الرغم من تقدمها في السـن، فقد نأت بأثقال الشـيخوخة بهمة عاليـة وكأنها عـاد إليهـا صباها، وأقامت في الشـعاب ثلاث سـنين، وهي صابرة محتسـبة للأجر عند الله تعالى.

الدعاء المستجاب

يقـول اللـه تعالى في كتابـه الكريم: ﴿وإذا سـألك عبادي عنـي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنـوا بي لعلهم يرشـدون﴾.. البقرة آية 186. فعن ابن عباس رضي اللـه تعالـى عنهما قـال: قالـت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت تزعم أن بيننا وبين السـماء خمسمائة عام وغلظ كلّ سـماء مثـلُ ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسـن: سـببها أن قوما قالوا للنبـي صلى اللـه عليه وسـلم: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿وقال ربكم أدعوني أسـتجب لكم﴾.. غافر آية 60. قال يا قوم: في أي سـاعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سألك عبادي عن المعبـود فاخبرهـم يا محمـد أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي وأنه قريب من اوليائـه بالإفضال والأنعام، لقد امر الله عباده بالدعاء وحض عليه وسماه عبـادة ووعـد بانه يسـتجيب لهم.

فعن عبادة بن الصامت قال: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيـت أمتي ثلاثا لم تعـط إلا الأنبياء كان اللـه إذا بعـث نبيـاً قـال: أدعنـي أسـتجب لك. وقال لهـذه الامة أدعوني أسـتجب لكم، وكان اللـه إذا بعث نبياً قـال له: مـا جعل عليـك فـي الدين من حرج. وقـال لهذه الامة: ما جعل عليكم فـي الدين من حـرج وكان الله إذا بعث نبي جعلـه شـهيدا على قومـه وجعل هذه الامة شهداء على الناس.

وللدعـاء شـروطه وآدابـه حتـى يسـتجيبه الله تعالـى وأولها اجتناب الاعتـداء المانع مـن الاجابـة حيث قال فـي آية اخـرى: ﴿أدعوا ربكـم تضرعا وخفيـة انـه لا يحـب المعتديـن﴾ ولا يدعوا الداعـي باثم أو قطعية رحم وما لم يسـتعجل وإلا يـأكل الداعي الحرام ففـي الحديـث: (ما بـال الرجـل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يـا رب يا رب ومطعمه حرام ومشـربه حرام وغـذي بالحرام فآنى يسـتجاب لـه ذلـك). وقد قـال العلمـاء ان اجابة الدعاء لابـد لها من شـروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شـرط الداعي أن يكـون عالما بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنيـة صادقة وحضـور قلب فـان الله تعالى لا يسـتجيب من قلـب غافل لاه، وأن يكـون مجتنبـاً لأكل الحـرام، والا يمل من الدعاء.

ومن شـرط المدعـو فيـه ان يكون من الامور الجائـزة الطلب والفعل شـرعا كمـا قـال مـا لـم يـدع بإثـم أو قطعية رحـم فيدخـل في الاثـم كل مـا يأثم به مـن الذنـوب ويدخل في الرحـم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم، وأما شروط الدعاء فسبعة أولها التضرع والخوف والرجـاء والمرؤه والخشـوع والعموم وأكل الحلال.

وقـال ابـن عطـاء ان للدعـاء أركانـاً واجنحـة وأسـبابا وأوقات فـان وافق أركانـه قـوي وان وافـق أجنحته طار في السـماء وان وافق مواقيته فاز وإن وافق أسـبابه نجـح فأركانـه حضور القلب والرأفة والاسـتكانة والخشـوع وأجنحتـه الصدق ومواقيته الأسـحار وأسـبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرائط الدعاء أربعة أولهـا حفظ القلب عنـد الوحدة وحفظ اللسـان مع الخلق وحفظ النظر الى ما لم يحل وحفظ البطن من الحرام.

وقـد قيل لإبراهيـم بن آدهم مـا بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال لأن قلوبكم قـد ماتت. قالـوا وما الـذي أماتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق اللـه ولـم تطيعـوه، وعرفتم حق الرسـول ولـم تتبعوا سـنته، وعرفتم القـرآن ولم تعملوا به، واكلتم نعم الله فلم تؤدوا شـكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوهـا، وعرفتـم النـار فلـم تهربوا منهـا، وعرفتم الشـيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا لـه، ودفنتـم الامـوات ولـم تعتبـروا، وتركتـم عيوبكـم واشـتغلتم بعيوب الناس فاسخطتم ربكم وخالقكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعائكم.

والدعـاء المطلوب في كل الاوقات غير أنه في بعـض الأوقات أكبـر ومن هذه الاوقات السـجود وعند الاذان والاقامة وبينهمـا فـي السـحر وعنـد جلـوس الخطيب بين الخطبتـين ويوم الجمعة وعند نزول المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الاخير من الليل وفي المرض وفي السـفر وليلة النصف من شـعبان وليلـة القـدر وفـي الصيـام وليلتـي العيديـن ويـوم عرفة وهـو في بعض الاماكـن أجـدر بالقبـول فـي المسـاجد وعند قبر الرسـول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفـي المسـجد الحـرام وفـي المسـجد الاقصـى وفي مقـام ابراهيم وفي حجر أسماعيل وفوق عرفات.

والدعـاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يردهـا الله تعالى وهـي دعوة الصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم ودعوة المرء الى اخيه في ظهر الغيب ودعوة الوالد لولـده او عليه ودعـوة الامـام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسـل والانبيـاء والصالحين والدعـاء باسـم اللـه الاعظـم والدعاء بالمأثـور مـن القـرآن والسـنة وآثـار الصالحين.

والدعـاء تتنوع الاجابة له فقد يعطي المـرء مطلوبـه وقـد يرفع اللـه عنه به مكروهـا وقـد يدحز له مـن الكرامة في الاخـرة ما هـو فـي حاجة اليـه وخير دعوة هي ما ادخرها رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم الشـفاعة لأمته يوم القيامة فهي نائله ان شـاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً.

ومـن المواقـف الايمانيـة فـي الدعاء المأثور أن نبي الله موسى عليه السلام كان يرعـى غنـم الرجل الصالـح الذي اسـتأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يومـا فـي واد يقـال لـه وادي الذئاب، ونظـر حولـه فـاذا بالذئـاب تحيـط بغنمه من كل جانـب وقد أدركه التعب والنصـب ولـم يقو علـى رعيها فاتجه الى الله يدعوه دعاء المضطر قائلا اللهم أحـاط سـبعة علمـك وسـبعة تدبيرك وتفـدت ارادتـك وكلـت حيلتـي وأنت تعلم أنـي مؤتمن عليها رعها لي والقى بعصاه ونام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرد منها الشاه ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاه، فقـال الهي وسـيدي ما هذا الـذي أراه؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسـى كن لـي كما أريد أكن لك ما تريد.